عبد الرحمن الشهبندر

الأديب والعالم والسياسي

نزار نسيب القباني

٦ تموز ١٩٤٠ .. يوم استشهاد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، " أرادت فرنسا بقتله .. "التخلص من احد الاركان الوطنية الثابتة التي لا تكل ولا تمل في رفض الاحتلال والمطالبة بالحرية والاستقلال .

أرادت باغتياله .. تمزيق الوحدة الوطنية وشق كلمة الامة بعد اجتماعها ، مستغلة سذاجة بعض الجبناء .. فاغتالت الامة في كبدها .

الا ان وعي الامة زاد في التفافها ووحدتها واجتماع كلمتها بعد جرحها الدامي واثبتت ان افراد هذا الوطن كلهم كالشهبندر في عقيدته وايمانه .

كان الشهيد الشهبندر وزيرا للخارجية في اولحكومة وطنية استقلالية ، وزيرا يوم ارسل الفرنسيون انذارهم العدائي المشهور (انذار غورو) الذي قدموه يوم عيد جمهوريتهم

اثر احتلالهم لدمشق أخذ يعمل ضدهم في السر والعلن حتى تم الحكم عليه بالسجن ونفي الى جزيرة ارواد واشترك الشهبندر في الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ في الجبل والغوطة ووادي التيم ثم غادر مع سلطان الاطرش وبعض المجاهدين الجبل الى الازرق ، ثم حكمت عليه السلطة الفرنسية بالاعدام لاشتراكه بالثورة .. فاضطر للغياب عن الوطن حتى عام ١٩٣٧

كان وحدويا في فكره .. قوميا في عقيدته .. لا يقبل عن الحرية بديلا تقدميا في منهجه يعالج القضايا الاجتماعية الكبرى في أمته . فقد تحدث في خطبه وكتب في مقالاته عن المرأة .. ومصير الاسرة الشرقية ، وعن النهضة الاخلاقية ، وعن الجهل وضرورة ان يتبوأ المتعلمون مكانهم في قيادة المجتمع ، لم يكن سياسيا وفيلسوفا اجتماعيا عظيما فحسب ، بل كان طبيبا بارعا من أشهر اطباء دمشق في عصره .

كان أديبا .. وكان خطيبا مفوها يرتجل اغلب خطبه ارتجالا .. وما عرف

ويقول عنه المرحوم الاستاذ ظافر القاسمي

(كان الشهبندر رحمه الله متمكنا من اللغة العربية تمكنا عز على الشبيه والنظير في ذلك الزمان ، حتى بين من كان مختصا فيها ومنصرفا اليها .. فلقد كان يخطب بها ولعله كان اخطب الناس بها وكان وهو يخطب آية من آيات البلاغة والسحر) .

ومن أقوال الدكتور الشهبندر في الحرية :

" ان سكان هذه الارض على اختلاف العشيرة يمتون بأصولهم الى الجزيرة العربية ومهما كانت عيوب هذه الجزيرة فان قضيتها البارزة هي انها تطبع ابناءها على الحرية ، فالحرية هي غريزتنا .. ولاهون على البشر ان يخفوا منا ملامحنا ويلاشوا الواننا وتقاطيع وجوهنا وقامتنا وشكل شعورنا من ان يزيلوا هذه الغريزة من نفوسنا) .

وخير ترجمة منصفة لهذا الرجل الكبير كلمة علامة الشام الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العربي (للادب ضحايا .. وللعلم ضحايا .. وللسياسة ضحايا .. والشهبندر جمع في شخصه الادب والعلم والسياسة .. وكان ضحية الضحايا التاريخ سينصف الدكتور شهبندر ويذكر غناءه وبلاءه موزونا بميزان العدل والنصفة .. وسيقولون عنه انه امة .. وانه خير من نبغ في الامة العربية السورية في هذا القرن وأنه احد قلائل ضموا أنفسهم في مرضاة الوطن واثبتوا بأعمالهم انهم كانوا شيئا عظيما في الحياة .. لا كالذين دخلوا العلم وخرجوا منه لم يحسبن .

وصدق الشاعر حيث يقول :

وسيهتف التاريخ باسمك عاليا
ولسوف تذكرك العصور فتشكر

نزار نسيب قباني